النظرية السياقية في التفكير البلاغي العربي القديم، "الجاحظ و الجرجاني أنموذجا"

The Contextual Theory in Ancient Arabic Rhetoric'' the case of Al- jahiz and Al-jorjani''

بليردوح ثليثة*

جامعة العربي بن مهيدي – أم البواقي، الجزائر، discourd19@gmail.com

تاريخ الارسال 2021/05/25 تاريخ القبول 2021/12/22 تاريخ النشر2021/12/27

ملخص:

نروم في هذه الورقة البحثية إلى التأصيل لنظرية لغوية باتت قطب الرحى في الدراسات اللسانية الحديثة وهي النظرية السياقية لما لها من أهمية بالغة في القبض على كنه المعاني، التي تتوارى وراء البنية السطحية لصرح اللغة، وجعلها(المعاني) أكثر دقة ووضوحا، بعيدا عن الاكتفاء بالبحث عن العلاقة بين الدال والمدلول إلى البحث في طريقة استعمال الكلمات أثناء الفعل الكلامي والمعاني التي تحملها في مواقع مختلفة من التراكيب والسياقات، وقد جرى التركيز في هذه الدراسة على أهم الإسهامات البلاغية العربية القديمة لدى الجاحظ و الجرجاني، التي اتخذت من السياق ركيزة ومحورا أساسيا في دراسة مختلف المسائل اللغوية والبلاغية والدلالية، حيث كان الاهتمام بقضايا الدلالة والسياق من أولى مرتكزات الدرس البلاغي العربي القديم الذي اهتم بالروابط اللفظية وغير اللفظية خدمة للمعنى.

الكلمات المفتاحية: السياق ،المعنى، التأويل، النظرية السياقية، التراث العربي.

Abstract:

This study aims at searching for the genesis of the contextual theory – a milestone topic in the modern linguistic studies—for its importance in seizing the essence of meanings which hides deep beneath the surface structure of the language. It also goes beyond the meaning, that simply relates the signifier to the signified, to make it more accurate and clearer by exploring the words during speech act and the roles they play in the different placements in the structure. Moreover, this study focuses on the important contributions of ancient Arabic rhetoric, which is characterized by its paramount use of context, to the study of various linguistic, rhetoric, and semantic issues. It is worth mentioning that the interest in semantic and contextual issues is one of the pillars of the ancient Arabic rhetoric lesson which drew upon the verbal and non-verbal connections to serve the meanin.

Keywords: The context – Meaning – Interpretation – contextual theory – Heritage Arabic

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن المتتبع للدرس البلاغي العربي القديم يقر بشيء من الجزم أنه قد حاز قصب السبق في التقعيد لأهم النظريات اللغوية الحديثة ونخص بالذكر النظرية السياقية، التي نالت رواجا واهتماما كبيرا في الدرس اللساني الغربي الحديث، كونها أحد أهم الأسس والمحاور التي تقوم عليها الدراسات اللسانية والتداولية والعرفانية ...، فالاهتمام بالسياق وقضاياه حرر اللغة من فكرة النص المغلق على ذاته إلى رحابة التأويل الذي لا يتأتى إلا من خلال معرفة السياق، الذي يؤدي إلى تحديد قصد المتكلم ومنه تحديد المعنى وإجلاء الفهم.

فقد انصب اهتمام علماء البلاغة في دراستهم للسياق على فكرة مقتضى الحال، والعلاقة بين المقام و المقال جاعلين من سياق الحال أساس البلاغة وركنها المتين، يقول الخطيب القزويني :"البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"[1]

فمطابقة الكلام مقتضى الحال لابد فيه من استحضار ملابسات وظروف الكلام أو كما يسمى في النظرية السياقية الحديثة الظروف المحيطة بالحدث الكلامي فمقام المدح غير مقام الفخر، ومقام الرثاء غير مقام النسيب ومقام الدعاء غير مقام الهجاء...، حيث تفطن علماء البلاغة إلى الفرق بين المعنى المقالي والمعنى المقامي في عدة قضايا جوهرية في اللغة كالذكر والحذف والتقديم والتأخير والمسند والمسند إليه...، وعليه فإلى أي مدى اهتم علماء البلاغة قديما بالسياق ؟ وكيف تناول الدرس البلاغي العربي القديم مسألة الدلالة السياقية ؟

و فيما تجلت الإرهاصات الأولية للنظرية السياقية الحديثة في الموروث البلاغي العربي القديم؟

2. تعريف السياق:

1.2 . لغة:

جاء في لسان العرب في مادة (س و ق) ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا وهو سائق وسواق وقد ساقت وتساوقت الإبل تساوقا : تتابعت. وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم ودنانير لأن أصل الصداق عند العرب الإبل وهي التي تساق،... وساق فلان إلى امرأته أي أعطاها مهرها والسياق المهر ...، ويقال فلان في السياق أي في النزع الأخير، والسياق نزع الروح، وأصله يساوق فقلبت الواو ياء لكسرة السين، وهما مصدران من ساق يسوق[2] وورد في أساس البلاغة: "ساق النعم فانساقت، وقدم عليك بنو فلان فاقدتهم خيلا وأسقتهم إبلا "[3] وقال الجوهري: "ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة، بعضهم على أثر بعض ليس بينهم جارية، والسياق نزع الروح يقال رأيت فلان يسوق ،أي ينزع عند الموت"[4]

يتبين لنا من المادة اللغوية التي قدمها كل من ابن منظور و الزمخشري والجوهري أن السياق معناه التتابع والتلاحق بشكل فيه انتظام ودون انقطاع أي تحقيق نوع من التناغم والانسجام وذلك لغاية منشودة في صورة متسلسلة غير مجزئة فانسياق الروح من الجسد أي خروجها منه كأنها تساق لتخرج من البدن تدريجيا وشيئا فشيء، وكذلك انسياق الغنم والإبل يكون بتتابع والتوالي.

2.2 اصطلاحا:

يعرف السياق بأنه:"ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى"[5]، ليكون بذلك السياق هو:" دراسة الكلمة داخل التركيب أو التشكيل الذي ترد فيه، إذ لا يظهر معنى الكلمة الحقيقي، و لاتتحدد دلالتها إلا من خلال السياق بضروبه المختلفة "[6]، حيث لا تكتسب الكلمة دلالتها إلا بالنظر إلى ما يسبقها وما يلحقها من كلمات، فالسياق هو الذي يعين قيمة الكلمة لأن " الكلمة في كل مرة تستعمل في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي بوسعها أن تدل عليها "[7]

ويعرف تمام حسان السياق بقوله:" المقصود بالسياق التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين أولهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك والسياق و يسمى "سياق النص"، وثانيهما: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي ، وكانت ذات علاقة بالاتصال، ومن هذه الناحية يسمى السياق سياق الموقف"[8] ، أي أن السياق يدل على معنيين يمكن تحديدهما في أمرين هما: السياق اللغوي (linguistic Context) والسياق غير اللغوي Non linguistic) Context) وقد يسمى سياق الموقف.

- ✓ **السياق اللغوي** : وهو استعمال المفردة في داخل نظام الجملة وارتباطها بمفردات أخرى، "حيث يتأسس وفق طبيعة التركيب أو التشكيل أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات، فيعلق بعضها ببعض وفق الأنظمة والقواعد والضوابط المعتمدة في لغة ما، هذه القواعد والأنظمة هي التي تعمل على تحديد القيمة الدلالية لكل كلمة داخل التركيب اللغوي[9] الذي يمثل محيط الكلمة التي تتعانق مع بقية الكلمات مشكلة معنى عاما يجمعها فهو بذلك :"ضم الكلمات بعضها إلى بعض، وترابط أجزائها واتصالها أو تتابعها وما تحويه من معنى وهي مجتمعة في النص أو الحديث"[10]، مع ضرورة مراعاة مستويات اللغة الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية والمعجمية، حيث إن الكلمة في السياق"تستوعب زيادة عن معناها المعجمي قيما دلالية محددة، وقيما إضافية أخرى...، واكتساب القدرة على ما نسميه المقولات الصرفية من اشتقاق أو جمود أو زيادة أو حذف ...إلخ وعلى ما نسميه المقولات النحوية، من جنس وعدد و تعريف وتنكير وزمان ومكان وفاعلية ومفعولية وحالية وتمييزية وغير ذلك، من مشمولات الكلام الأساسية، المسند والمسند إليه، ومتممات العملية الإسنادية أو قيودها ومتعلقاتها الدلالية[11]
- ✓ **السياق غير اللغوي** : ويعرف بسياق الموقف أو السياق الاجتماعي كما يطلق عليه السياق الثقافي، وهو مجموع العوامل والظروف الاجتماعية و الثقافية التي تحيط بالمتكلم والسامع ، أي الظروف التي أنتج فيها النص من قرائن وبيئة خارجية ، "فهو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومن هذه العناصر شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي، ومن يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجد، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي والعوامل والظواهر الاجتماعية[12] .

إنه عبارة عن:"المنوال الذي ينسج فيه التركيب أو القالب الذي يفرغ فيه"[13]، حيث لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد للكلمة إلا من خلال ورودها في الحدث الكلامي الإنجازي ، فالسياق غير اللغوي هو كل ما يصاحب اللفظ مما يساعد على كشف وإيضاح المعنى ،ويشمل مايلي:

- القرائن الحالية وأنماط الوقائع المحيطة بالمقال اللغوي والأبعاد اللغوية الثقافية المتعددة سواء كانت ثقافية محضة أم اجتماعية أم دينية أم سياسية ... إلى غير ذلك.
- الحالة النفسية أو العاطفية لأطراف العملية اللغوية، والدلالات الإيحائية أو الضمنية.
- طبيعة النص وغايته المتوخاة من المشتركين إقناعا أو إغراء أو سخرية أو تجريحا، ... إلى غير ذلك.
- الإشارات المصاحبة للعملية الكلامية، كالإشارة بالطرف أو الحاجب أو اليدين أو الرأس أو غير ذلك من الجوارح.
- التاريخ أو الزمن الذي تجري فيه العملية اللغوية، فالتاريخ جزء من فعل السياق في تحديد الدلالة.
- قناة التواصل، شفهية كانت أم كتابية أم إذاعية أم تلفازية[14].

3 ارهاصات النظرية السياقية عند علماء البلاغة قديما:

لقد أولت البلاغة العربية القديمة عناية بالغة بمسألة المعنى، فكان البحث في دلالة الكلمات من أهم ما شغل فكر علماء اللغة القدامى :"فقد اهتموا اهتماما كبيرا بقضية المعنى لأنه يتصل بالأصل الذي صدرت عنه حركتهم العقلية، مما نعلمه في كتب التفسير والأصول[15].

ويتضح الاهتمام بالسياق جليا عند علماء البلاغة فيما قدموه من دراسات لضروب وأنواع الكلام كما أن قولهم : "لكل مقام مقال" أكبر دليل على وعيهم الكبير لأهمية السياق أو المقام، في توضيح الدلالة وعدم الاقتصار على الوحدات اللغوية فقط لإدراك المعنى، بل مراعاة اختلاف مقامات الكلام وسياقاته المتنوعة يقول السكاكي :"لا يخفي عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ومقام المدح يباين مقام العزم...، وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادقة الكلام بما يليق به، وهو الذي نسميه مقتضى الحال.[16] ومن أبرز البلاغيين اهتماما بالسياق :

1.3 الجاحظ ت 255هـ:

لقد تناول الجاحظ مسألة السياق تحت مسمى البيان الذي يعرفه بقول: ***"اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى وهتك الحجاب ...،حتى يفضي السامع إلى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ماكان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل لأن مدار الأمر الغاية التي يجري إليها القائل والسامع إنما هي الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع"***[17].

فهنا إشارة واضحة وصريحة للسياق اللغوي وغير اللغوي فقوله :أي شيء بلغت الإفهام .

معناه عدم إهمال كل ما من شأنه إيصال المعنى والدلالة للمتلقي من إشارات أو علامات أو ظروف خارجية محيطة بالخطاب اللغوي، حتى يتم الفهم والإفهام الذي لن يتحقق إلا بشرط موافقة الكلام لمقتضى الحال وفي ذلك يقول " ***المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة ، وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة ، وإنما مدار الشرف على الصواب ، وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"***[18].

فلا يمكننا الحديث عن لغة منعزلة عن السياق الذي ترد فيه، لأن المعاني متجددة باستمرار وفق المقام الذي ترد فيه ويقع فيه الكلام، وقد حدد الجاحظ أصناف لتحديد المعنى تتجاوز مجرد اللفظ: ***"إن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة: أولها اللفظ ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم الحال التي تسمى نصبة . والنصبة***

في الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف ولا تقتصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها في معاني الجملة" [19] . ومقصد الجاحظ هنا هو أن لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ، ولكل نوع من المعاني نوع من اللفظ حتى تؤدي الرسالة ثمارها المرجوة .

فالألفاظ تستعمل لتناسب مقاماتها، فيتحقق بذلك الهدف الأسمى للغة هو الاتصال والتبليغ. وأي تغير في مبنى اللفظ يؤدي إلى تغير في معناه لذا وجب الحفاظ على الخطاب في حدود المستوى الذي أخذ منه.

"ومتى سمعت – حفظك الله – بنادرةٍ من كلام الأعراب فإيّاك وأن تحكيها إلاّ مع إعرابها ومخارج ألفاظها. فإنّك إن غيّرتها بأن تلحن في إعرابها وأخرجتها مخرج المولّدين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير. وكذلك إذا سمعت بنادرةٍ من نوادر العوامّ ومُلْحَة من مُلح الحشوة و الطّغام فإيّاك أن تستعمل فيها الإعراب أو أن تتخيّر لها لفظاً حسناً أو تجعل لها من فيك مخرجاً سرّياً فإنّ ذلك يفسد الإمتاع بها ويخرجها من صورتها، ومن الذي أريد له ويذهب استطابتهم إيّاها واستملاحهم لها" [20].

فعلى المتكلم أن يراعي الخطاب حال استعماله وفق (السياق اللغوي) الذي قيل فيه ، فإذاوجد الكلام معرباً فصيحاً فعليه أن يحافظ على إعرابه وفصاحته فلا يلحن فيه، أمّا إذا وجده ملحوناً فلا يجب أن يعربه بل عليه أن يتقيد بالخطاب كما ورد دون تحريف أو تبديل، كما نبه الجاحظ إلى مسألة مراعاة مقام الخطاب (السياق غير اللغوي) ويضرب – لذلك – الجاحظ مثلا طريفا فيقول : ***"قال أبو الحسن: خطب مصعب بن حيان أخو مقاتل بن حيان خطبة نكاح، فحصر فقال: لقّنوا موتاكم قول لا إله إلاّ الله ، فقالت أم الجارية عجّل الله موتك ألهذا دعوناك ؟! "*** [21]

يتحدث الجاحظ هنا عن أحد النَّوْكى، –الحمقى– الذي لم يُوائم كلامه المقام الذي هو فيه مما أدى إلى السخرية منه بسبب الخروج عن مقام الخطاب فالمقام مقام فرح والخطبة خطبة نكاح في حين كان خطابه خطاب عزاء . فقد اهتم الجاحظ بكل أطراف العملية التواصلية موليا اهتماما بالغا بالسياق اللغوي الذي يمثله اللفظ والسياق غير اللغوي الذي يمثله المقام لأن ألفاظ المتكلمين ينبغي أن توظف في سياقاتها وفي بيئتها التي نشأت فيها لأن المفردات اللغوية تتفاوت بتفاوت مقامات المتكلمين والمستمعين .

وقد أكد الجاحظ في أكثر من موضع على أن: " ***مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع مواقفه الحال، وما يجب لكل مقام ومقال"*** [22].

كما اهتم الجاحظ بظروف المخاطبين وحياتهم الثقافية من خلال العناصر التالية :[23]

العنصر الأول : مراعاة المتكلم كعنصر هام في سياق المقام، يقول الجاحظ:" ***لكل قوم ألفاظ حظيت عندهم وكذلك كل بليغ في الأرض وصاحب كلام منثور، وكل شاعر في الأرض وصاحب كلام موزون ، فلابد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظا بأعينها ،ليديرها في كلامه وإن كان واسع العلم غزير المعاني كثير اللفظ***[24]

العنصر الثاني : مراعاة المستمع المخاطب كأحد أهم أقطاب العملية التواصلية كونه شريكا مهما في الخطاب، يقول :" ***فإذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع بعيدا عن الاستكراه، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ومتى فصلت الكلمة عن هذه الشريطة، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، أسحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد مالا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة، ولا يذهل عن فهمها معه عقول الجهلة***[25] .

العنصر الثالث :" مراعاة العلاقة بين الموقف/الموضوع واللغة المستعملة يقول: " ***ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات ، فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين***"[26]

ألم الجاحظ كما رأينا بكل شروط السياق وما يقتضيه لتجنب الغموض في الفهم وإيصال الرسالة للمتلقي على أحسن وجه مستوفيا جميع شروط النظرية السياقية الحديثة، التي دعت إلى الاهتمام بجميع الأطراف الفاعلة في العملية التواصلية (الرسالة، المتكلم، السامع، ظروف الإنتاج) فرأينا أن السياق عنده يتمحور حولها جميعا كما عني عناية بالغة بمسألة اللفظ والمعنى مع حسن التركيب وترتيب ذلك في النفس بتخير اللفظ الكريم للمعنى الكريم :"من أراد معنى كريما فليلتمس له لفظاً كريما ، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف"[27] .

2.3 عبد القاهر الجرجاني ت 471هـ:

عني الجرجاني بالسياق وكان الأساس الذي أقام عليه نظريته في النظم التي تحكمها العلاقات النحوية المبنية على سلامة المعاني الدلالية، فلا معنى لتفاضل الكلمات من غير سياق ترد فيه وإليه يعود الفضل والمزية :" ***وهل تجد أحد يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها***"[28]

يشير عبد القاهر الجرجاني في كلامه إلى ضرورة مراعاة السياق اللغوي وتعانق الكلمات مع بعض داخل التركيب اللغوي فلا قيمة للكلمة المفردة خارج السياق حيث تكتسب قيمتها البلاغية بمجاورتها مع غيرها من الألفاظ وملائمتها لما يسبقها وما يلحقها، وهذا ما أكده بقوله :" ***وجملة الأمر أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام، الذي هي فيه ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ومعلقا معناها بمعنى ما يليها***"[29] .

فالسياق الدلالي الذي ترد فيه اللفظة هو الذي يكسبها دلالتها وليس معناها المعجمي من يقوم بذلك فهناك بعض الألفاظ تصلح في موضع ولا تصلح في آخر، ودليل ذلك قد نجد كلمة تروقنا في موضع وعند تغييرها لموضع آخر نستهجنها وتثقل علينا ، ***"فالألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، والألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر ...***"[30]

كما أكد الجرجاني على ضرورة اختيار الأسلوب النحوي المناسب للسياق أو الموقف أو المقام، وقد يستدعي ذلك تقديما أو تأخيرا أو حتى حذفا أو تنكيرا أو غير ذلك مراعاة لمقتضى الحال وهذا ما ركزت عليه الدراسات البلاغية القديمة وأولته عناية بالغة "لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التعزية ، ومقام المدح يباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار ، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار ؛ جميع ذلك معلوم لكل لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر31".

حيث يربط الكلام بمقام استعماله وهو لب دراسة المعنى اللغوي،وهو ما أكد عليه الجرجاني في نظرية النظم بعد أن ثار على اللغويين العرب، "لأنهم لم يستفيدوا من مبدأ جيد وضعه سيبويه، مؤداه ربط الكلام بمقام استعماله"[32]

وما ترتيب المعاني في النفس إلا دليل على الاهتمام بالمتكلم يقول :" ***وأعلم أن مما هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أن تحدد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، ويشتد ارتباط ثان منها بأول، وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حال الباني ،يضع يمينه، ههنا في حال ما يضع بيساره، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين، وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة***[33]

فعلى المتكلم أن يتخير اللفظ كما يتخير السياق العام الذي يقال فيه ، يقول أوستين (Austin) وهو أحد أهم علماء اللغة الغربيين المحدثين: "ما نستعمله من ألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده فيه على وجه مخصوص"[34] .

وقبل كل ذلك يجب ترتيب ذلك في النفس ،***"فإذا كان النظم سويا، والتأليف مستقيما ،كان وصول المعنى إلى قلبك تلو وصول اللفظ إلى سمعك ، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وصل اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه"*** [35]

هنا يلفت الجرجاني الاهتمام بالسامع (المتلقي) حيث يجب توفر كل الشروط المتعلقة بالفصاحة والبلاغة في الكلام لتحقيق الفهم لدى المستمعين، فالجرجاني كان على وعي ودراية بأن الاهتمام بالمستمع وظروفه كونه عنصر مهم في العملية التواصلية أمر يجب الوقوف عنده ، وهذا سبب اهتمامه بالمقام الذي يشمل الظروف الخارجية ، يقول الدكتور نهاد موسى :" إن أبرز الملامح في النظم البلاغي أنه قام على اشتراط موافقة الكلام لمقتضى الحال ، أو استشعار المقولة السائرة لكل مقام مقال ،ورصد على وجه التفضيل ما يكون من تأثير السياق، سياق الحال خاصة ، وهي حال المتكلم والمخاطب، وسائر ما يأتلف منه المقام ، ورصد ما يكون من تأثير ذلك في تشكيل الكلام وتأليفه على هيئات في القول تتنوع وفقا لتنوع المقامات[36] .

4. الخاتمة:

في الختام يتضح دون مجال للشك أن علماء البلاغة قديما استطاعوا أن يدركوا وظيفة السياق ودلالاته بشقيه اللغوي وغير اللغوي من خلال عنايتهم باللفظ والمعنى، واهتمامهم بالمتكلم والمخاطب وبمضمون الرسالة وضرورة اختيار المفردات المناسبة لكل مقام وكيف تفطنوا لفعالية السياق باعتباره آلية من آليات حيازة المعنى وتقويم الدلالة وأن فصاحة الكلمة لا تكمن فيها منفردة بل بتعلقها مع جاراتها ، وهي اهتمامات تترجم عمق الفكر التراثي البلاغي العربي القديم حيث " لم يبد العرب القدامى اهتمامهم بالدلالة المركزية والسياقية فقط، بل اهتموا بكل ما يحيط بهذه الأخيرة من ألوان وظلال ومعان وحواف، مثل تلك الشحنات العاطفية التي يحملها الكلام المبطن بالأحاسيس والمشاعر المعبرة والمواقف الشخصية، كما اهتموا أيضا بالحمولة الفكرية التي تنطبع بها جملة أو نص ما، بما في ذلك الخلفية التاريخية للعلامة المفردة داخل التركيب ، وآفاقها الدلالية ، ومجالات استعمالاتها الشرعية والوضعية وغيرها"[37]

الهـــــوامش

1. الخطيب القزويني، **الايضاح في علوم البلاغة** ، مؤسسة الرسالة، القاهرة ، (2004)، ص23.
2. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور، **لسان العرب** (المجلد 10)، دار صادر، بيروت، (1990)،ص 166-167،
3. المرجع نفسه، 469.
4. المرجع نفسه ، ص4.
5. أحمد محمد أبو الفرج، **المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث** ، بيروت ، دار النهضة العربية ،لبنان، (1996)، ص116.
6. نور الهدى لوشن، **علم الدلالة ،الدراسة وتطبيق** ، المكتبة الجامعية الحديثة، الاسكندرية، مصر ،ص 96.
7. فندريس، **اللغة**، مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، (1950)،ص 231.
8. حسان تمام، **اجتهادات لغوية** ، عالم الكتب، القاهرة ، (2007)، 237.
9. هادي نهر، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي** ، دار الامل للنشر و التوزيع، اربد، الاردن ،(2007)، ص 263.
10. عواطف كنوش المصطفى، **الدلالة السياقية عند اللغويين** ، دار السياب للطباعة و النشر، لندن ، (2007)، 52.
11. هادي نهر، مرجع سابق، 296.
12. محمد السعران، **علم** اللغة ، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر ،القاهرة،ص 338.
13. عبدالقادر سلامي)، **علم الدلالة في المعجم العربي** ، دار ابن بطوطة، عمان ، (2007،ص 99.
14. هادي نهر، **علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي**، (2007)،ص ص 224-225.
15. عبده الراجحي، **فقه اللغة في الكتب العربية**، دار النهضة العربية،بيروت لبنان ، (1972)،ص 169،
16. ابو يعقوب يوسف، السكاكي، **مفتاح العلوم** ، دار الكتب العلمية، بيروت، (1987)،ص 80.
17. ابو عمر عثمان بن بحر، الجاحظ، **البيان و التبيين** ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، (1985)،ص 76.
18. المرجع نفسه ، 136.
19. المرجع نفسه، ص 93.
20. المرجع نفسه ، 145.
21. المرجع نفسه،ج1 ص 250
22. المرجع نفسه ،ج1 ص136
23. محمود رزايقية، **قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ، قراءة في رؤى النقاد المحدثين، إشكالات في اللغة و الأدب** ، (2019)، ص 392.
24. الجاحظ، **الحيوان** ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، (1965)، ص366.

25. الجاحظ، **البيان و التبيين**، 83.
26. المرجع نفسه ، 138-139.
27. المرجع نفسه ، 86.
28. عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز** ، مكتبة الخانجي، القاهرة ،(1989)، 259.
29. المرجع نفسه، ص 259.
30. المرجع نفسه ، 259.
31. **السكاكي، مفتاح العلوم**، ص257
32. زهران ، البدراوي، **عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في اللغة العربية ونحوها**، القاهرة ، دار المعارف، (1987)، ص238.
33. عبد القاهر الجرجاني، مرجع سبق ذكره، ص133.
34. **جون أوستين، نظرية الأفعال الكلامية العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام ص120، 121**
35. المرجع نفسه، ص 271.
36. هاد الموسى، **نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظم اللغوي الحديث** ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان (1980)، ص 96.
37. عقاق قادة، **في السيميائيات العربية ،قراءة في المنجز التراثي** ، مكتبة الرشاد، القاهرة ، (2001)، ص77.

6. قائمة المراجع:

1. أبو الفضل جمال الدين محمد ابن منظور.. لسان العرب (المجلد 10). بيروت: دار صادر. (1990)
2. ابو عمر عثمان بن بحر، الجاحظ.. البيان و التبيين. القاهرة: مكتبة الخانجي. (1985)
3. ابو يعقوب يوسف، السكاكي. مفتاح العلوم. بيروت: دار الكتب العلمية. (1987).
4. أحمد محمد أبو الفرج.. المعاجم اللغوية في ضوء علم اللغة الحديث . بيروت ،لبنان: دار النهضة العربية. (1996)
5. إسماعيل بن حماد، الجوهري.. الصحاح. لبنان بيروت: دار الكتب العلمية. (1999)
6. الجاحظ.. الحيوان. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي (1965).
7. الخطيب القزويني.. الايضاح في علوم البلاغة . القاهرة: مؤسسة الرسالة. (2004)
8. الزمخشري.. أساس البلاغة. القاهرة: دار الكتب المصرية. (1966)
9. حسان تمام. اجتهادات لغوية. القاهرة: عالم الكتب. (2007).
10. زهران ، البدراوي. عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في اللغة العربية ونحوها. القاهرة : دار المعارف. (1987).
11. عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. القاهرة: مكتبة الخانجي. (1989).
12. عبدالقادر سلامي. علم الدلالة في المعجم العربي. عمان: دار ابن بطوطة. (2007).
13. عبده الراجحي.. فقه اللغة في الكتب العربية. بيروت لبنان: دار النهضة العربية. (1972)
14. عقاق قادة. في السيميائيات العربية ،قراءة في المنجز التراثي. القاهرة: مكتبة الرشاد. (2001).
15. عواطف كنوش المصطفى. الدلالة السياقية عند اللغويين. لندن: دار السياب للطباعة و النشر. (2007).
16. فندريس. اللغة. مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي. (1950).
17. محمد السعران. علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربي. القاهرة: دار الفكر.
18. محمود رزايقية. قضية اللفظ و المعنى عند الجاحظ، قراءة في رؤى النقاد المحدثين. اشكالات في اللغة و الأدب . (2019).

19.نهاد الموسى. نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظم اللغوي الحديث. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. (1980).

20.نور الهدى لوشن. علم الدلالة ،الدراسة وتطبيق. الاسكندرية، مصر: المكتبة الجامعية الحديثة.

21.هادي نهر. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. إربد الأردن دار الامل للنشر والتوزيع. (2007).